شهداء المروءة

أو

من غضون ثورة سنة ١٩١٩

رواية اخلاقية وطنية اجتماعية مصرية

بقلم

احمد رشاد سلامه

مطبعة الفتوح لصاحبها على بطاطة بخليج قنطرة عمر شاه بالسيدة زينب بمصر

شهداء المروءة

أو

من غضون ثورة سنة ١٩١٩

رواية اخلاقية وطنية اجتماعية مصريه

بقلم

احمد رشاد سلامه

مطبعة الفتوح لصاحبها على نجا ناظر الخليج بقنطرة عمر شاه بالسيدة زينب بمصر

الاهداء

إلى الأخلاق في هويها

إلي الفضيلة في رمسها

إلى الانسانية في مثواها

إلى الشباب فى قوته وفتوته

إلى الوطنية فى عقلها وجنونها

إلى الأقلام فى جدها ومجونها

وأخيرا :

إلى أدبنا المصرى جنينا فى بطن المستقبل أهدى روايتى هذه

احمد رشاد سلام

١٠/٩/٣٢

مقدمه

الاستاذ الأديب الشاب « طاهر محمد ابو فاشا » شاعر نزاع بسليقته الى الحرية والجدة والذى يطالع شعره الرقيق الذى ينشره فى مختلف الصحف يرى هذه الروح جليه فيه ثم هو الى ذلك كاتب منطيق ناقد قوى الحجة وقد تفضل فكتب تلك المقدمه وهى عنوان على صدق مانقول ؟

.. ليس الادب عندنا كامل الاغراض ، تاماً من جميعَ مناحيه ، فان هنالك القصة . ناحية من أهم النواحى الادبية التى لها خطرها — ومع هذا فما زال الادب هنا منها كالطفل من المشى لا يكاد يخطو خطوتين حتى يكبو ...

وليس قراؤنا بذوى ظمأ الى شىء كظمئهم الى القصة المصرية ترسم حياتهم ، وتصور معيشتهم ، وتشخص أمراضهم الاجتماعية ، والخلقية ...

هذا وان مئات القراء بل ألوفهم - اذا شئت - تحت

رحمة النساخين المترجمين الذين لا يتقون فى تلك القراء وخز الضمير ، فينقلون اليهم عن الغرب كل ما استيسروا نقله ، واتفق مع أشعبتيهم المادية ، وان كان لا يتفق وحالنا فى شيء ، ويخيل الى أنى أستطيع أن أهتف أننا فى غني عما يترجمه لنا هؤلاء السادة سواء فى ذلك سيئه وحسنه .. !!

أما السيء ـ وهو أكثر مايترجمون ـ فلأنه سيء ، وأما الحسن وهو أندر ماينتجون ـ فلأنه وان كان حسنا فى ذاته الا أن ذلك الحسن لا يعود علينا بشيء مما نحن فى حاجة اليه ، ومما تتطلبه البلد .

لماذا .. ؟ !

ـ ذلك لان تلك القصة التي يترجمونها ـ على فرض أنها حسنة ـ وان وصفت حياة فأبدعت ، وشخصت مرضا خلقيا فأجادت ، وشرحت ببعضها مجتمعا فوفقت ، هـذه القصـة وان كان لها كل ذلك ـ لا تنفعنا فى شيء من كل ذلك حتى ولا فى بعضه .

ألا ترى أن تلك الحيـاة التى وصفت ، وذلك المرض

التى شخصت ، وهذا المجتمع الذي شرحت بعيدة عن حياتنا ومرضنا ومجتمعنا . وهيهات أن يشفي الدواء الواحد مرضين بينهما البعد الواسع ، والبون الشاسع وكل الاختلاف لما لاختلاف البيئة من التأثير فى الحياة والمادة والاخلاق و..

***

دع القصة الموضعية : فان من المضحك المبكى أن تنطلق مفتشا بيوت الناس لتتعرف دخائلها وأنت تجهل دخائل بيتك .

والقصة العامة : فان موضوعها يكاد يكون مفروغا منه دع هذا وتعال نقطع النفس حسرة ، ونمزع القلب ألما لسوء حال اخواننا النقلة الذين جعلوا الترجمة تجارة وقفوا انفسهم على ممارستها كتجارة فذهبوا يعملون بما تمليه عليه عقولهم كتجار ، لا بما تمليه عليه قلوبهم كأدباء يكتبون لوجه الادب وا كاد اقول تعالى ـ

هـذه مكاتبنا مصابة بالتخمة لكثرة مافى جوفها من روايات ... ولكن قل لى : أى هذه الروايات التي تضخم

بها معدة المكاتب تتمشي مع حاجة مما فى نفوس القوم من حاج ؟ ! وأى هـذه الروايات تتمشى مع أحاسيس القوم كمصريين ؟ ! بل أى هذه الروايات عالجت شيئا ممـا نراه بعيوننا ثم نغضى على القذى ؟ !

أمستطيع أنت أن تجيب اجابة الغربي أومن هو دونه ؟! لا وأبيك فان سادتنا النقلة ـ عفا الله عنهم ـ يجهلون أو يتجاهلون هذا ، وهذه رواياتنا التى ترجموها وتدوالتها الايدى مابين سيئة المغزى ، ذئبة المقصد ومابين شوهاء تمجها النفس ويملها القارىء ولما يسر فيها بضعة صفحات ، تلك هي حال رواياتنا — أقول أو أغلبها —

لقد ترجم لصوص شالى « الاستاذ عبده الزيات » وترجم فلان مالا أذكر ، وترجم من لا أذكر ما أذكر ، وأخرجت وتخرج لنا لجنة الترجمة والنشر ذيت ذيت مما أخرجت وتخرج فهل أصاب ذلك النتاج ماينبغي أن يصيب ؟!

كلا وحاجتنا الى الفهم . لقد توهم سادتنا الادباء أنه لاجل أن يخدموا الادب والبلد يجب أن ينتقوا لنـا أرقى

ماجرت به الاقلام ، وفاتهم أنه لاجل أن يخدموا الأدب والبلد يجب أن ينتقوا أرقي مايوافق أذواقنا لاأرقى ماجرت به الاقلام ...

ولعل ذلك هو السر في تلك الجفوة التي نراها بين خاصة الكتاب وعامة القراء هؤلاء فيما ينتجون وأولاء فيما يتذوقون لقد تباين الذوقان وتباعدت الشقة بينهما وزاد الفتق اتساعا وبعيد كل البعد أن يجبر الصدع الا اذا أخضع الكتاب ثقافاتهم للجمهور ، ونزلوا من سمائهم ليأخذوا بيد الجمهرة المسكينة ليصعدوا بها معهم الى أفقهم

نريد ان نقرأ بأبصارنا ماتضطرب به نفوسنا ، وتهتز به افكارنا ، وتحس به في قلوبنا ، ونراه في جو حياتنا ، حتى نشعر بالصلة بيننا وبين مانقرأ

***

يجب ان يوضع حد للترجمة التي جرف سيلها ، وعم وبلها ، حتى ينصرف الكتاب الى التأليف بجانب الترجمة العاقلة الحكيمة وحتى يقوم الأدب القومي الذي ننشده مستهديا بما حوا اليه من

نجوم ، وهذا مايحدونا الى التكبير لجهود الشباب لانه محط آمالنا ، وعندى انه اذا كان في نية المستقبل ان يقف ادبنا على ساقين من حديد ـ بدل ساقين من زجاج ـ فانما يقفه الشباب والشباب وحده

اما ادباؤنا الذين يتسمون بالكبار ، وينعتون بالائمة اما هؤلاء الذين وضعوا انفسهم على عروش الادب ، وربعوا انفسهم فى دست ربوبيـة فهنيئا لهم نومة عبود الا يقظات المهاترة ، وهنيئا لهم سكوتهم الا صيحات الاعلان . !!

وماذا بعد .. ؟!

بعـد انى ان زففت الى القراء اليوم (رواية شهداء المروءة) لصديقنا الاديب (احمد رشاد سلامه) فليس ذلك لانها غاية مانريد ونصبوا وانما لانها مجهود شاب من اولئكم الذين حدثتك عنهم ، نعم لانها مجهود شاب يعمل لوطنه وادب قومه كما ينبغى ان يكون الشباب املا وقوة

(شهداء المروءة) ياقارئى العزيز قصة تبحث فى أربع فكر منها اثنتان منتزعتان من لحم المجتمع ودمه

فهى قصة الوطنية المجنونة ، وطنيـة الثورة الثائرة : والعاطفة الجامحة ، والشعور الملتهب وهي قصة العقل والمنطق اذ ترى المؤلف قد وضع تلك الوطنية تحت مجهرة الدقيق الحصيف الفاحص حتى اذا مااهتدى لمكمن الداء العياء انتقل به الى المشرحة وأخـذ يعمل بقلمه مايعمله الطبيب بمبضعه . فبينما أنت فى قيامة الوطنيـة وحشر الثورة اذا بك معه على صراط مستقيم تنصب على سمعيك نقد هذه الوطنية من الام التى يقفها المؤلف فى كل ادوارها فى قصتنا موقف العقل والمنطق

وهى رواية الحيرة !! فبيناك فى معمعان الثورة . اذا بك تواجه حب سعاد لاسكندر وحب اسكندر لسعاد وكيف يعملان على الزواج ثم لماتقم التقاليد فى وجوههمايثوران عليها ثم يصدمهم الدين فيضطرم أتون الثورة عليه في نفسيهما وبينما أنت معهم فى ثورتهم اذا بالأم تواجـه ثورة القلب بثورة العقل وثورة العاطفة بثورة المنطق

وهي رواية الانسانيه والمروءة ! فبينما أنت حانق على اعداء لوطن تـكاد تنفجر رأسك غضبا عليهم اذا بك أمام

أحد ضباطهم وهو طريح الفراش جريح تربت له قائلا ان لاتخف فنحن وان كنا أعداء فى الوطنية الا أننا أصدقاء فى الانسانيه والانسان انسان قبل أن يكون وطنى

وهى رواية الخيانه !! اذ تصور لك كيف يقابل ذلك الضابط الجميل بالنكران ، والحسنة بالكفران . ثم هى رواية العاصفة والمأساة !! اذ لاتكاد تذهب العين بكلماتها وصفحاتها حتى تذهب الخيانة بروحين بريئين

تلك هى الرواية التى أقدمها اليك اليوم ولا أريد أن أقول أن صديقنا الاستاذ الاديب احمد رشاد سلامه أنجب ونجل وانما أريد أن أقول أنه عمل وجد ومادام المرء جادا فى عمله فان النبوغ ينتظره فاتحا ذراعيه ؟

طاهر محمد ابوفاشا



صورة المؤلف

سمعت الأم صوت الطلق النارى فى غرفة الجريح فهرولت الى الغرفة وهناك رأت منظرا جمد له دمها فى عروقها ، رأت ابنها الوحيد ابراهيم ملقى على الارض والدم ينفجر من صدره فى قوة وغزارة

صاحت المرأة تخاطب الجندى الذى أمامها والعبرات تخنقها .

ـ لماذا قتلته ، انه ماأساء اليك ، أنه . أنه ماأساء اليك

* * *

كان ابراهيم هذا طالبا بالجامعة وقد مات أبوه تاركا ثروة لابأس بها كانت قسمة بين ابراهيم وأخته سعاد

وكانت الأم طيبة القلب الى حد ليس وراءه زيادة لمستزيد وقد خطفت الآلام من على وجهها تلك الابتسامة ، نعم لقد ذهب حزنها على زوجها على بك بابتسامة وجهها ، ونشاط جسمها ، وألبسها ثوبا وقورا من السكون الذى لجأت اليه بعد حزن عميق وألم طويل ، وأنست الايام المرأة حزنها اذ رأت فى ولديها السلوة الكبرى ...

رأت فى ابراهيم صورة صغيرة من أبيه فتسلت بذلك ، ورأت ابنتها تبسم فتملأ البيت رغدا وهناءة فأنست لذلك وامتلأ قلبها رضى بحالها ، وقناعة بمآلها . فخلعت أثواب الحداد وطابت نفسا بما هي فيه . وقرت عينا ، وتبسمت لها الايام فتبسمت هي الاخرى لها إلا آونة الذكريات فكانت تشوب أوقات سعادتها فتغطيها بطبقة من آلام الذكرى كالسحب تغطى وجه الشمس ولكنها لاتلبث أن تزول فتعود الشمس الى ابتسامها وكذلك يعود الى الأم الطيبة سعادتها الهادئة الوادعة تحوطها هالة من وقار الأمومة

واعتادت المرأة أن تلجأ الى صدرى ولديها كلما عاودتها الذكري وآلمها الجرح القديم فكانت لاتلبث أن يلتئم الجرح ولكن الى أمد وحين - كما أنها اعتادت أن تذهب صبيحة كل يوم فى الساعة السادسة الى فراش ابنتها سعاد فتقف أمام تلك الدمية البديعة تتأمل ذلك الجبين الناصع الذى تنبعث منه أشعة السعادة فتملأ عليها البيت سعادة وهناءة ، وذلك الوجه الفاتن ترتسم عليه صور من النقاء لا يصعب على الأم

قراءتها في وجه ابنتها فتضع يدها في رفق على صدر الفتاة ثم تقبلها في جبينها فتفتح الفتاة عينيها الدعجاوين قائلة وعلى فمها ابتسامة الملائكة أكذلك أشرقت الشمس ياأماه

وتترك الأم الفتاة وتذهب لاعداد مائدة الشاى بنفسها على حين تلحق بها سعاد حيث يذهبان معا الى حجرة ابراهيم فتوقظه الأم بكلماتها الرقيقة ريثما تماكسه سعاد أو يتيقظ فن جذب لقدمه الى ضغط على أذنه وهو يبدى لذلك امتعاضا فى شىء من الأغراء تغرق له الأم فى الضحك

ـ يالك من كسول يابنى ، الا يوجد في نفسك بعض مافى نفس سعاد من نشاط وخفة ـ تشجع تلك الكلمات الصغيرة سعاد فتثب من هنا الى هناك حيث تأتي بوسادة تضرب بها ابراهيم فيثب هذا وراءها والأم تشاهد ذلك ويكاد قلبها يطير من مكانه غبطة وسرورا

وعلى المائدة تسأل ابراهيم عما يصح أن يكون غذاءا لهما اليوم وبعد محاضرة سعاد الطويلة وجدال ابراهيم الشديد يستقر الرأى على صنف مائم يحبيه ابراهيم ويخرج الى مدرسته

والسعادة ملء قلبه

صورة متكررة من حيـاة تلك العائلة الصغيرة الهادئة رضيت بها قانعة لاتطلب من مزيد . نعم ان فى الحيـاة المتكررة شيئا من السأم بل السأم كله ؟ ولكن هذا اذا لم تكن في جو تحوطه السعادة ، هبك وجدت من تحية نفسك ويهواه قلبك وابنتها فى حياة متكررة متعاقبة معـا ، فأمس كاليوم واليوم كبا كر فهل كانت نفسك تطلب تغييرا ؟ ؟ أو هل كان الملل يعرف الى قلبك سبيلا

٢

فى ذات يوم تنبهت الأم فوجدت ابراهيم بجانب فراشها مرتديا ملابسه ينظر اليها نظرات تنم عن الحنان والخوف والقلق معا !! استغربت الام لانتباهه مبكرا وارتدائه ملابسه على غير عادته

ـ أهكذا تيقظت وحدك ياولدى ؟؟ ولكن الى أين ؟؟

ـ آه . الى الجامعه

ـ ولكنك مبكر ولم يحن وقت المدرسه بعـــد !!! ألا تنتظر حتى أوقظ سعاد لنشرب الشاى معا ؟؟

ـ كلا . كلا . انها متيقظة . وهناك من الدرس مايحتم على الذهاب توا

وهنا دخلت سعاد وعلى وجهها أمارات القلق مرتسمة بالرغم من ضحكتها التى أرسلتها عاليا

ـ نعم اني متيقظة . دعيه ياأماه يذهب ان لديه أعمالا عظيمة يجب أن يذهب اليها فورا

ـ إذن فاذهب . وتمتمت الأم تسأل الله أن يكلأ وحيدها

بعين عنايته على حين ذهبت سماد لتشيعه حتى أذاما فارق المنزل أطلت من الشرفة وظلت تشير اليه بمنديلها الابيض كلما التفت وراءه شأن المسافرين

... مضت الساعات تتلو الساعات وحان وقت الغذاء وهيئت المائدة وجلست الأم وابنتها ينتظران ابراهيم ومضى عقرب الساعات متباطئا يحدوه عقرب الدقائق ! ! ودقت الساعة الثانية بعد الظهر ، ولكن ابراهيم لم يحضر

تناوب الأم القلق واستولى عليها البلبال خوفا على وحيدها ، وتوارت الشمس بالحجاب وزحفت جحافل الليل وراء كتائب النهار الهاربة فعاود الأم قلقها وخوفها واستولت عليها الكآبة

ماذا ؟؟! ترى لماذا تأخر ؟؟! وأين كان ؟؟! وأين يكون ؟؟! لعل حادثا أصابه ، وظلت تسأل الخدم مرة وسماد أخرى على أن سماد ظلت طول النهار ساكنة جامدة تنظر الى كتاب فى يدها وجاءتها أمها وهى فى حالة من الحزن يرثي لها تخبرها بما هجس فى نفسها ودار بخلدها

... — آه . أخوف ماأخاف أن يكون ترام أصابه

— ماهذا أ كنت تظنين أنه امرأة لاتتغيب عن منزلها عشاءا الخير لك أيتها الأم أن تبرقميه ثم تدعيه قميدة بيت لايرى عتبة داره ليل نهار

هزت الأم رأسها ارتيابا ونادت الخادم يامحمد الى المدرسة سل عن ابراهيم وحاولت سعاد أن تحول بينها وبين ذلك فما زادتها محاولة سعاد الا تشبثا بارادتها — ثم أطلت الأم من النافذة تستعجل الخادم وتستحثه على السرعة ثم جلست ويدها تحت خدها صامتة حزينة تفكر فيما تخيلت من أوهام صورتها لها عاطفتها المتقدة نحو ابنها الشاب — لم يقطع عليها حبل خيالاتها المرة الا سماعها نقرا خفيفا على الباب وأسرعت الأم فوجدت ابراهيم معصوب الجبين فصرخت

— ويلى أي مكروه أصابنى فيك ياولداه

ـ لاشيء . لاشيء . جرح بسيط أصابنى أثناء نزولى من الترام ووضع يده على كتف أمه التي أخذت تنظر الى عينيه كأنها تستطاع صدق مايقول أو كذبه ، وقهقهه قائلا

لقد كان يوما شديدا حيث كانت لدلينا اشغال جمة اضطرتنى الى التأخر للآن على انى قد تناولت غذائي مع بعض الزملاء

وبينما كانت الام تعتني بعصب رأس ابراهيم سمعت الخادم يقول اسعاد ولكن لايصح ان اكتمها الامر

كلا . لاتخبرها بشيء . لااريد ان تعلم شيئا ، أفاهم انت ؟

ولما فرغت الام من عملها نادت محمدا وسألته عم أرادت سعاد ان يكتمه

اخبرها ان ابراهيم كان فى مظاهرة اتفق الطلبه وانه كان الباعث عليها بل وانه والزعيم الذى تأتمر الطلبة بأمره وتنتهى بنهيه وان ذلك الجرح الذى فى جبينه اثر من هراوات رجال البوليس - انطلقت الأم الى غرفة ابراهيم وهي ترتعش غيظا وغضبا ثم سألته فى لهجة حادة

- أفى الغد سوف تكون عندك اشغال كاليوم

نظر ابراهيم الى أمه التى تجلى فى عينيها ماتخفيه عنه فأجابها .

- بلاشك لأن الامتحان صار وشيكا أن تداهمنا ايامه

ـ لا . لااريد ان تذهب غدا فانك مريض ويجب ان تستريح .

ـ كلاياأماه انالامر أهون مماتتصورين وذلك الخدش الذى فى جبهتى لايستدعى بقائي فى المنزل ساعة

ـ لاقلت . انى لااريد ان تخرج غدا فخالفنيان كنت تستطيع ان تفعل

ـ نعم ساخالفك بلا اذن ريب وسأخرج مبكرا كاليوم .

آه ، أنت ، أنت لم تخالف أمك ولم تغضبها فى العشرين عاما التي قضيتها تحت السماء فما بالك اليوم أتريد أن تعق أمومتي وتكون مثلا للبنوة الكاذبة اذا فلا كانت . . . . .

ـ لا . لاياأماه لاتغضبي فاني أرى الأمر أهون من أن تغضبي له ، لست أدرى من متى كنت تمنعيني عن المدرسة والمدرسين

آه . مدرسة ، أية مدرسة تعني . أقسم عابدين أم قسم السيدة وأى مدرسين تريد . أضباط البوليس أم جنوده

الذين وقعوا على جبينك أول كلمة من كلمات الجنون . .
ثم قالت فى لهجة تشف عن الانكسار والذل . أهكذا
أهكذا ياابراهيم تعرض نفسك لرصاص الجنود ؟؟ أهكذا
تريد أن تفعل بي بعد أن بلغت من العمر ما بلغت . لا . لا
أستطيع أن أعيش اذا كنت تريد أن تكون واحدا من
أولئك الشبان الطائشين الذين يخرجون عن طاعة آبائهم
وينسلون من الخضوع لأولياء أمورهم بل ويخرجون من
بين أحضان أهليهم ليرجعوا إليهم جرحى أو صرعى ما كانوا
يفعلون . أقتلنى ياولدى إن كنت تستطيع لتستطيع أن تفعل
ماتريد أن تفعل . سعاد . سعاد . إن كنت لاتريد أن ترحمنى
أو إن كنت لاتريد أن تسمع كلامى لأجلى وأنا أمك فاسمعه
من أجل أختك . اسمعه من أجل سعاد

كلا . لاأريد أن يسمعه وليتني كنت رجلا لأكون
بجانبه جنديا ندافع عن الوطن بأرواحنا

— صرخت الأم فى وجه سعاد التى كانت بالباب
تسترق السمع . وأنت . وأنت الأخرى تساعدينه فى طريقه

الأعوج .

ما بالك أيتها الأم تمنعين ابنك عن أداء واجب علقه الله والوطن فى رقبته . أتريدين ان ينام فى أحضانك بينما ابناء الوطن من إخوانه يعانون مايعانون

— وهل نسيت أنه ابنى وأن لى عليه حقوقا و . . .

ـ وهل نسيت أنت الاخرى أنه وطنه وأن له عليه هو هو الآخر حقوقا . وهل نسيت أن أولئك القوم الذين ينادى أبناء الوطن بسقوط الظلم أمامهم فيصبون عليهم جام غضبهم خائنون لوطنهم وإن كانوا من أبنائه ، بائعون له وإن كانوا من أصحابه ، نائون عن نصرته وإن كانوا من حماته فاذا لم يهب الشبان فى وجوههم فماذا تنتظرين . وهل يرضيك أن نستنيم للحرية تداس . والكرامة تقبر . وللوطن يعذب ولنا نحن ندفن أحياء لنحى أمواتا بين الاحياء !!! ؟؟؟

ـ آه . لقد عرفت من أى باب طرق التهوس قلوبكم ، عرفت من أى جهة ضعيفة فى نفوسكم أمكن لأعدائكم أن يهاجموكم منها . . . إن أعداءكم الحقيقيين الذين تركتموهم

يعيثون بالحمى فسادا ليوغروا صدوركم ضد بعضكم ، وينفثون روح الكراهية والمقت بينكم ، ويحولون قلوبكم على بعض إلى قطع من الصخور الصلاد . أجل يا ابنتي أنهم يسممون أفكاركم . ويضعون على عقولكم غشاء فلا تتعقلون وعلى قلوبكم غطاء فلا تشعرون حتى إذا ما وضعوا بينكم قنابل البغض والحقد أشعلوها ووقفوا على الرابية يراقبون نار الخلاف تأكلكم أكلا ذريعا . ومن ثم يرون الجو أصلح ما يكون لحصد ثمرة الحقد التي غرسوها في قلوبكم وهكذا هم لا يرتفعون الا على رماد الحرقى وجثث الهلكى . نعم انهم لا يصطادون الا في الماء العكر

إن البله من السابلة والمضللين من اشباه المتعلمين هم الذين يفهمون ان في مشيهم في الشوارع نابحين ناعقين خدمة الوطن .

ليست خدمة الوطن في التهليل والصياح ، والعواء والنباح ، وانى . . .

ـ وهل نسيت يا أماه أنك لو تصفحت التاريخ لوجدت

استقلال الأمم وليد الثورات والهتافات التي تسمينها صياحا ونباحا ، وهل تريدين أن ننام ونسكت على الضيم لنكون عقلاء ؟ ؟ وهل من الحكمة أن يصم المرء أذنيه عن أنين الوطن ويغمض عينيه عن مآسيه ، ويقفل قلبه عن بلواه ، فكري فيما تؤول اليه حالنا لو جبنا و ....

ـ صه ياسعاد فأنت لاتعرفين من الوطنية الا عاطفة لم تترعرع تحت قيادة تفكير أو تعقل وإنما هى أمور تفعلها العامه وانصاف المتعلمين والمغرضين المدلسين هؤلاء ليطفئوا غلة فى نفوسهم اوقدها الجهل ، وأئلك ليظهروا أنفسهم في زى القادة وأولاء ليصلوا إلي أغراضهم الدنيئة ومطامعهم الاشعبية

إن الاستعمار لاتثبت قدمه الا حيث جراثيم الجهل تضل الناس عن الغايات فيسيرون إلى صد رأعدائهم فتتسلط عليهم (ميكروبات) ذلك الجهل فيقفون فى طريقهم لمحاربة أنفسهم . هذا يرمى ذلك بالخيانة ، وذلك ترى ذاك بالجهل ويعلم الله أنهم بأحزابهم جاهلون

إن الاستعمار ظلم والعلم نورفاذا ماأشرق باعثه ولت جيوش الظلمات وتلاشت

من لى ياولدي بقوة استطيع بها ان ارد الناس إلى صوابهم ، ان رقى الوطن برقي أفراده ،فاذا كانت افراد الأمة راقين قيل انها راقية ، لأن البلاد بأهلها لا بزرعها وضرعها ، فأنت إذا أردت خدمة وطنك خدمة صادقة فاعمل لنفسك اعمل لها ، ودعهم يقولون عنك مايقولون . دعهم يسمونك ذاتيا ، أنانيا ! ! أفاهمة ياسعاد ؟؟ فأذا ماعمل كل فرد لذاته والأمة كما تعلمين افراد متعددة ارتقت الأمة ونهضت ، هي إن كل طالب جد فى عمله ، وان كل صانع اهتم بصنعه ، وان كل زارع اخلص لمزرعته فماذا ترين بعد خمس سنين من شعب هذا حاله ....

إنك بلاشك واجدة طلبة مفكرين ، وعلماء مخترعين وزراع رافهين ناعمين ، وصناع في احضان المزوارفين ، فاذا ما كنتم ذلك الشعب حق لكم ان تقوموا وعندئذ تعمل الأمم لقيامكم الف حساب وحساب ، أما أن تكونوا خلوا من هذا كله ثم تسيرون في الشوارع صائحين كالباعة المتجولين فتلك احدى المخازى التى تضحك عليها الأقدار ، ويرثي لها

المفكرون الذين ترمونهم جهلا بما ترمون

ان التعصب الأعمى والتقليد بغير بصيرة يمتصان دماءكم مصاً ويفقدانكم كل قطرة من الكرامة الحقة ، والانسانية الصادقة ، والعمل المجدي النافع ـ والآن كيف تريان نفسيكما مماقلت قالت هذا وتبسمت للجواب الذي تبتغيه وتحركت شفتا ابراهيم

كلا . كلا انى أفضل أن أموت ولا أرى الظلم يرعى فى أحشاء الأمة الهاجعة المسكينة

جن جنون الأم وأدركت تلك الثورة الجامحة الطائشة التى تمكنت فى نفس الشاب وصاحت . ويحى ماذا دهاني تكلمى ياسعاد ؟! أفهميه فانه لايكاد يفهم

— نعم يحق لى أن أتكلم ولكن اذا تكلمت أرانى فى صف أخى أعضده بما أستطيع أن أعضده فى منهجه الشريف

ـ اذا أقتل نفسى ....

أدرك ابراهيم أن المسألة ستتعقد أمامه فقال لأمه وقد

تكلف الابتسام تعالى اجلسى حتي أسر اليك الأمر علي ماهو ـ وأخذ ابراهيم يتكلم وهو يمط الكلمات ويتجنب مامن شأنه أن يهيج شعور والدته وقد فهم ان ثورتها ناشئة من خوفها عليه . ادرك ذلك فعرف كيف يلمس المخرج من ورطته قال ـ هونى على نفسك ياأماه وقام اليها فقبلها فهدأ ثائرها على حين استرسل هوني على نفسك ؟ فان الأمر فى غاية السهولة قولى لى لماذا ؟ قال هذا وأمسك بيدها ضاغطا فقالت له

ـ لماذا ؟ ؟

ـ ذلك لأن الجنود لا يستعملون سلاحا وانما هي عصى يشيرون الينا بها لنخاف .. ثم نظر الى عينيها وقال فاذا كان الأمر كذلك فهل من خوف على ؟؟ وهل تشعرين بخوف نحوى ؟؟ أجيبي قولى . لا . وأطال النظر الى عينيها فقالت ـ لا . لا .

ـ حسن ... فاذا ذهبت الى هناك فلا يصيبنى ضرر من ناحيتين من ناحيـة كرامتى بين اخوانى ، ومن ناحية

الضرر الذى تخافين أن يلحقني . وأما اذا لم أذهب فأنى أكون موضع ازدراء أخواني وامتهانهم واحتقارهم فهل يرضيك أن أكون كذلك ؟؟ ! قولى لا . لا ...

وليس أحب الى امرأة وأشهى الي قلبها من أن ترى ابنها بين الرجال يقودهم حيث شاء ويذهب بهم أني أراد اذا تكلم وقفوا خاشعين ، وأن أشار فالى مكان اشارته يسرعون ، كيف لا يطير قلب المرأة سرورا وهى تعشق العظمة وتحب السيطرة والسلطان . المرأة تبحث عن موطن الجاه متمنية من صميم فؤادها أن تطأه بأخمصها ولو كان فى ذلك العطب والهلاك .

ـ تحت تأثير ذلك أجابت الأم لا . لا أحب أن تكون كذلك

ـ فقال لها اذا فلماذا تمنعينني

نسيت الأم أمام عاطفتها ذلك المنطق الذى كانت تتكلم به منذ ساعة فقالت وهى تبكي

أخاف ياابراهيم أن يصيبك مكروه وأنت سلوتي فى

الدنيا بل نصيبى منها ؟!!! ألا ترى أننا أنا وأختك ليس لنا الا أنت بعد الله - وبكت الأم فبكت سماد وكاد أن يبكى هو الآخر لولا أن تدارك الموقف بمهارة فقام اليها وقبلها وقال

- كلا . كلا . لاتخافى انما هو قلبك الحنون هو الذى جسم الأمر فى عينيك - قالت سماد وكانت قد أدركت مراد أخيها -

- نعم . نعم هو قلبك الشفيق ياأماه هو الذى كبر الأمر أمام ناظريك

وبمثل هـذا أمكن ابراهيم وسماد أن يؤثرا على المرأة فرضيت بعد أن أتقنا دوريهما كل الاتقان

٣

كان ابراهيم فى أول عهده بالشهرة كالأعمى لأول عهده بالضياء لذلك ما كاد يسمع هتاف الطلبة له عندماذهب اليوم مبكرا حتى اندفع فى حماس وثورة عظيمين

ان مصر فى حاجة الينا أيها الرفاق ، وأن ماء النيل الذى نشربه حرام علينا اذا نحن جمدنا أمام أعداء الوطن الانذال ،

لاتقولوا وماذا نستطيع ونحن عزل من السلاح ؟ ! فان الحق سلاح دونه أى سلاح ، اذاً فلنصيح ، ولنسمع السماء آهات البلاد وأناتها ، لنملأ الدنيا صخبا على أولئك الغاصبين الأنذال ،

ان الوحوش الكاسرة ، لأعف نفسا ، وأنقى سريرة ، وأطهر قلبا ، من أفاعى البشر وذئابهم ، ذلك لأن الوحش يقتل الفرد الواحد فنقول انه متوحش ، وأما أولئك الذين يقتلون شعبا بأسره فماذا نقول عليهم ؟!! أمتوحشون ؟؟ كلا كلا انها أرق والطف ، ماأظلم الانسان للانسان ـ ان حياتنا

كما اننا اذا عشنا كذلك أمواتا بين الأحياء !! الاستقلال التام أو الموت الزؤام

باسم الله . وباسم الوطن الجريح ، أناديكم شيوخا وشبابا ونساء أن تثوبوا لرشدكم ، وتستيقظوا من سباتكم ، وتصحوا من غفلتكم رافعين علم الجهاد بعزيمة قوية . وارادة متينة ، وعزم ثابت ، وباسم الوطن المكلوم فى أحشائه . المطعون في أبنائه !! أستنهض هممكم أن تضحوا بالنفس والنفيس فى سبيل نصرته ، وباسم تلك الارض التى حملتكم وغذتكم بزرعها ، وروتكم بماء نيلها

اياكم وتلك الوساوس ، اياكم والكسل فيجلبان لكم العار ، ويديمان عليكم الاستعمار ـ الاستقلال التـــام أو الموت الزؤام

أبناء مصر . ان أمكم مصر تئن وتتوجع مما أصابها ! ! لاترضى بكم بديلا ولا عنكم حولا — تستحثكم وتستنجدكم فما بالكم صامتين ؟؟؟ لاتهرعون لاغاثتها ولا تمشون لنجدتها!!! هيا نفديها بدمائنا وندفع عنها غيلة أعدائنا . . . . هيا نقف

كالطود الأشم لا نخشى تلك الهراوات . ولا نهاب تلك العصي ، نرفع صوتنا بالاستقلال التام أو الموت الزؤام

وان تدفع الطلبة وراءه يصيحون وقد هاجت عواطفهم تلك العبارات الطنانة ، واندمج فيهم كثير من العامة فأصبحوا جحفلا لا يستهان به ، ومشوا رافعين أعلامهم الى حيث يهزمون كتائب البوليس ، كأنهم يريدون اخراج البوليس من البلاد ويذيقونهم الوبال

٤

فى مساء ذلك اليوم شاهدت سعاد نفرا من الشبان يحملون شابا وفيما هي تنظر أبصرت أخاها بينهم - فتحت الباب وأدخلوا الجريح ...

صرخت الأم وقد عاودها خوفها بالرغم من تشبعها بالروح التي كان ابراهيم وسعاد يبثانها كل ليلة ، ولكن سعاد وقفت تقول للطلبه

ان ذلك الدم الذى يلوث ملابس الشاب الجريح ليس دما ، وانما هو وسام قلده الحق شابا استمات فى سبيل الحق

هتفت الطلبة لتحى (طبيبة الجنود) وأدخلوا الجريح حجرة ابراهيم لتعتنى به سعاد

وجدت سعاد أمامها شابا نحيفا ، جميل التقاطيع ، واسع العينين جادهما فالت اليه وبعد ان ضمدت جرحه قالت له لا بأس عليك

نظر اليها الشاب نظرة فيها ابلغ عبارات الامتنان ،

وظلت تعتني به أكثر من بقية الجرحى الذين كانوا يتوافدون على البيت حتي اشتهر البيت وأهله بالوطنية ـ كانت سعاد تقضي أكثر وقتها في غرفة المريض تساجله الحديث فوجدت فيه المثال الحي للشباب المثقف ووجد فيها المثال الحي للأنوثة الناهضة ـ وقرب الشقة بينهما اتحاد ميولهما الوطنية ، ولماذا لا يجدان ذلك أليس هو جندي من جنود الوطن وهي طبيبة تلك الجنود

وفي يوم بعد حوار بسيط دار بينهما سألته

ـ ما اسمك

ـ اسكندر

ـ اذا أنت مسيحي

ـ نعم

ـ لا بأس فأننا وان فرقت بيننا العقائد الدينية فقد جمعت بيننا العقائد الوطنية

ذكر لها الشاب أن والديه توفيا وأنه في حال من العيش لا ترضى الشباب الطموح ، وأنه في السنة الاخيرة

بمدرسة الحقوق ، وأنه ينتظر أن يكون من كبار رجالات القانون

وكان يلقي اليها حديثه فى عبارة جذابة وكان يكلمها وملامحه تعبر مع لسانه فكان قلبها يخفق لحركات عينيه وخيل اليها أنها تحس عطفا على ذلك الشاب الفقير فقالت له

ـ لا بأس . ان الفقر مدرسة العصاميين ، وأنى أتفاءل بأن المستقبل يبتسم لك ـ فكان فى كلماتها انعاش لنفسه ...

ظلت صحة المريض فى تقدم مستمر واصبح فى دور النقاهة بفضل ماتبذله له سعاد حتى اصبح وشيكا ان يعود كما كان . سليما معافى

وفى ليلة هادئة بينما كان اسكندر يطالع صحيفة المساء دخلت عليه سعاد وعلى وجهها شيء من علامات الاضطراب فقال

ـــ ماذا وراءك . الا تزالين ساهرة

خجلت الفتاة من نفسها وقالت لاشيء كنت اظن انك محتاج الي ، قالت هذا وقـــــد اصطبغ وجهها بلون الخجل ، ونكست ناظريها الى الارض فبدت فى افتن مايكون

تأمل الشاب تلك الدمية الحية والانوثة الناضجة فأخفى في نفسه ماساوره وقال لها

لا . لست محتاجا اليك الآن

خرجت الفتـاة وفى قلبها شعور قاهر ليست تدرى كنهه ؟؟! ولـكنها عزت نفسها وقالت أنه عطف على ذلك الشاب لما هو عليه من فقر فحسب

٥

اشتدت نار الثورة المصرية اضطراما ، وزأرت مدافع الانجليز فى شوارع القاهرة ، وزمجرت طائراتهم فوق سمائها ، ودوت رصاصاتهم فى فضائها مخترقات صدور أبنـاء الوطن المفدى العزيز

نعم فقد رفع المصريون أصواتهم بحقهم ، فرفع الانجليز مدافعهم بقوتهم ، لقــد احتـكم المصريون الى الحق فأبوا الاحتكام الا الى القوة ، وتلك فى شريعة الاستعمار والمستعمرين هى الحق الذى ليس فوقه حق ، لقد أظهرنا للملأ ظلامتنا واستشهدنا بنى الدنيـا أمام الله وكتم المستعمرون باطلهم ، وموهوا زورهم ، فنطقت مدافعهم بما كتموا ، وأظهرت قوتهم ماموهوا ... فتبين الحق أبلج . ولـكن أين هو من سلطة الاستبداد

وفى يوم .... سنة ١٩١٩ ورصاص الانجليز يحصد أعمار الشبان حصـدا . رأت شماد من شرفة منزلها منظرا

يشيب الوليد و يذيب الحديد ، رأت أخاها مع جمهرة من الشبان يجرون ووراءهم الجنود شاهرين حرابهم والرصاص يتطاير من رؤوسهم

جن جنون الفتاة . فنزلت مسرعة الى الحديقة ففتحت بابها ثم ارتقبت قرب الشبان فصاحت بهم أن ادخلوا فدخلوا أفواجا ، وأقفلت الأبواب ، و بينما كان الطلبة في داخل المنزل يهتفون بحياة طيبة الجنود كان الانجليز خارج المنزل يستشيرون قلوبهم الغليظة من انتهاك حرمة المنزل للاتيان بمن فيه من الثائرين .

٦

مضى يومان على ذلك الحادث والأم المسكينة تصلي ليلها ونهارها طالبة الى الله أن يحفظ لها وحيدها

وبينما هي تصلي ذات ليلة اذ رأت شبحا يخرج من غرفة سعاد بخطى الخائف المستتر وسار حتى دخل حجرة الشاب الجريح

استدعى هذا الحادث اهتمام الأم، وهاج حب الاستطلاع في نفسها فمشت على طرف قدميها ووقفت بالباب فسمعت

ـ ولكني قد شفيت تماما

ـ نعم . ولكن أيرضيك أن تفارقني . أيرضيك ..... أن تهجرني، أني ... أني آنس بك ياأسكندر، فلاتتركني بربك أداة لو تدري كيف أعاني في نفسي من الثورة القلبية، أنك .. أنك لاتدري ياالسكندر الى أي حد قد أصبحت عندي من ضروريات الحياة ومستلزماتها ؟؟

ومدت اليه يديها ـ اضطرب الفتي وقد علم أن الثورة

التى ظل يخفيها فى نفسه آن وقت انفجارها

نعم لقد عصفت العاصفة ولكنه أخفاها فى نفسه بصبر وجلد عجيبين . أما الآن وقد سمع ماسمع فانه أصبح عاجزا عن كبح جماح تلك الثوره

مد الفتي كلتا يديه الى تينك اليدين اللتين تجاهل امتدادهما وقتا ما !! وضغط عليهما ثم قال ـ سأفعل . سأفعل ياسعاد ثم بكي وقال ـ آه . ولكن ماذا ؟ وأمامنا عقبة هى اختلافنا دينا ـ

آه . اختلافنا دينا ، وهل كنت تظن أن اختلاف الاديان يحول بين القلوب واذا كانت الاديان تدعو الى هذا ـ فقل لى بربك لأى معني نحن نعبأ بها

ـ ولكن الناس ؟ الناس يستنكرون هذا !!

ـ وماذا علينا من الناس ! ان الزواج لأسمى مما يتصور أولئك الحمقي الذين يزجون ببناتهم الى شبان لا يعرفنها ولا هم يعرفوهن ، و بين ظهرانينا من الحوادث ماتقشعر له الجلود ، وترتجف لهوله الابدان !! وزاد التحمس بالفتاة فهزت كتفيها وقالت فى صوت حاد

ـ أنسيت حادث تلك الفتاة التي زج بها أهلوها الى شاب كان بين طباعها وطباعه بعد ما بين السماء والارض ، فظلا في نكد وهم تكرهه ويكرهها ولكن العرف يقول أنه زوجها وهي زوجته ، فهل هذا في دين العقل زواج ؟؟ وبينما كان الزوج آتيا من سفره اذ وجد على فراشه مايتندى له جبين الفضيلة والشرف فقتل زوجته وزج في أعماق السجون؟! انظر .... ومع هذا كانت زوجته وكان زوجها !! قارن بربك بين زواجنا على مانحن عليه من فوارق وهذا الزواج ثم قل لي بقلبك أيهما بحق يعتبر زواجا

ـ ولكن رجال دينكم لايقبلون عقد زواجنا وكذلك الكهنة عندنا

ـ رجال الدين . الكهنة ؟! ألملك تعني أولئك الشيوخ وأصحاب الزقومة الزرقاء والرؤوس الصلماء . وما الذي سيعملونه لاجل ربط مابيننا برباط الزواج ؟؟

ـ يحررون كتابة بذلك ثم يقرؤون شيئا لاأعرفه ويقول لي أقبلت بها ويقول لك أقبلت بي فأقول نعم

وتقولين نعم

ـ ها . ها . وهل فى الممكن أن أكون غير قابلة بك أو غير قابل بي ، أما الكتابة ففى وسعنا أن نكتبها ، وأما القراءة فما أغنانا عنها اذ لا تظهر لى فائدتها فيما نحن فاعلون

ـ اذا سأنتظر . سأتمارض حتي تقضي السماء أمرا كان مقضيا

ارتمت الفتاة بين أحضانه . ولم تشعر كيف ارتمت ولامتى مجهشة بالبكاء ، ولكنها ما كادت تفيق الى نفسها حتى وجدت أمها بينهما ـ وقد رسم الغضب على وجهها صورته فى أجلى مايكون ـ وصاحت تقول

ـ سعاد . سعاد . يالك من فاجرة ، لقد سمعت مادار بينك وبين هذا الخائن اللئيم ، أتلك هى الوطنية التى تدعينها وهذه عاقبتها التي كنت تنتظرينها ـ بينما احدا كن يافتيات مصر تظهر حبها لبلادها ، ورغبتها فى انقاذها يضيع كل هذا أمام عاطفتها العمياء ، ومطامعها الحيوية .

سعاد . أتعيبين دينا ارتضاه الله سعد به العالم بعد أن

كان فى خراب ودمار ، وقامت عليه الأمم بعـد انقاضها ، والشعوب بعد انحلالها ـ اتحسبين كل الناس فى عمى وجهالة وأنت وذلك الغر وحدكما المشرعان المنصفان

أيها الخائن اللئيم . أنسيت تلك اليد التى أسديناها اليك ، والصنائع التى طوقناك بها ـ اذا لا كـنت ولا كانت تلك الوطنية التي جاءت بك الينا

ويحك ياابراهيم أين انت فتنظر ذلك الشاب يلثم شفتى أختك وتسلم هى اليه نفسها مرتمية فى احضانه لاندرى صوابا ولاتمى رشدا . قم يا بني فابك دما . وانتحب على تلك الفضيلة المنتحرة ، والاخلاق المتردية ، لطالما نصحتك ياولدى فما اعرتنى اذنا صاغية ، ولاقلبا مطيعا

ولو كـنت اعلم ان سيمثل امامى هذا الدور الشنيع لفضلت الموت على الحياة

سماد . اهكذا تخونين امك ، واخاك ، وتتبرئين من دينك !! لايخطرن بخاطرك ان امثال حكاية الفتاة التي تقولينها من الدين فى شيء . بل ضل الناس وعموا فنظروا الى المادبات

وتجردوا من الاديبات ، حسبو السعادة فى المال ، والراحة بجانب الاثرياء فكانت عليهم كل الوبال

ان الدين ياابنتى خلو من الشوائب ، بعيد عن طرق الشقاء ، سليم من الأدران ، كل مافيه سعادة لبنى الانسان لو اعتصموا بحبله ، وعضوا بنواجذهم على أوامره ، ونأوا بجانبهم عن نواهيه

آه . ياسعادلو درستم أصوله ، وتفهمتم معانيه ، وتعرفتم صحيحه ، وأشربت نفوسكم أحكامه وعلله ـ ولكنكم ..... أجل فقد نشأتم بين أحضان تلك المدنية الزائفة ـ مدنية المجون والاستهتار ـ فعمكم وابل من الألحاد وطل من الزيغ حتى عميت أبصاركم عن الحق وحادت عن سبيل الرشاد

ـ وكانت الأم ترسل تلك الكلمات فتقع على رأس كل من المشيقين وقوع الصواعق ، وقد أذهل الموقف اسكندر فوقف مشدوها ملجما ولبثت سعاد تنظر الى أمها نظرات المستعطف المقر بذنبه المعترف بجرمه

والحب مالم يكن موفقا فهو نقمة من نقم الله يخرج

الحليم عن حلمه ، والعاقل عن عقله ، والناسك من دينه بل ويقلب الانسان شيطانا ويخلق من هدوءه ثورة ومن عقله جنونا !!

وهذا ماحدث لسماد واسكندر فقد أحب كل منهما الآخر وأخذ الحب عليهما كل مسلك ثم رميا بأنفسهما فى شراكه ونظرا بعين الأباحية والاستهتار ليفتقا فتقافى الدين له حكمته السامية وعلته التى عجزت عنها عقولهم القاصرة وأفكارهم المحدودة

وما دروا أنهم فى مهمه الضلال تائهون وفى بحر الغواية غارقون

لقد جن جنونهما وخرج بهما الحب عن جادة الصواب فثارا على كل شيء اعترض حبهما ، وأعماهما غرامهما عن النظر في عاقبة الأمور

وقفت سماد وقدأصابها مايصيب المريد بعد هدوءه وقفت ورذاذ الدمع يتقاطر على وجنتيها اللتين كسيتا بحمرة الخجل تقاطر المطر على زهر الربيع وقالت

ـ أماه بالله رفقـا بابنتك فهو حب طاهر لايشوبه الدنس ... وانك ..... وأنك لتتصورين عاطفة ـ وأرادت أن تستمر فى كلامها وتدافع عن حبيبها فقاطعتها الأم قائلة

ـ اذا أردنا أن يسبل على هذا الحادث ذيول النسيان فعجل بالخروج من هذا البيت

بكت الفتاة وتوسلت الى أمها فنبذتها عنها بعيـدا ـ وأصبح ابراهيم فوجـد اسكندر مزمعا الخروج فأبى لأنه لايزال مريضا

ـ كلا ياأخى أني شاكر . لقد شفيت تماما

ـ لا أتركك تخرج خصوصا وحالتك المالية على ماأعرف

ـ بربك دعني .. آه . دعنى بربك

ـ مابالك تبكى لاأتركك تخرج أبدا ادخـل حجرتك ولاتخرج حتى آتيك عاهدنى على ذلك اقسم بشرفك

بعد ذلك بنصف ساعة كان ابراهيم أمام أمـه يخبرها بخبر اسكندر وكيف أنه يريد الخروج

ـ دعه ياولدى يخرج . لقد شفى تماما فما داعى بقائه ؟؟

ـ ولكنه ياأماه فقير

ـ وماذا نصنع ؟ الخير أن يخرج !!

ـ لماذا ؟ !

ـ لانه شقى

ـ اذن نتركه بيننا كضيف

ـ لا يابنى بربك دعه يخرج ، أواه دعه يخرج

ـ سوف أدعه اذا كان هناك سبب معقول

ـ أواه بربك دعه ، دعه الى حال سبيله

ـ قلت انى أدعه اذا كان هناك سبب معقول

ـ آه . ياخيبة أملى فيك ياولدى ....

خرج ابراهيم غاضبا ودخل حجرة اسكندر وأكد له انه اذاخرج سوف لا يعرفه بعداليوم . وقد ضاعت توسلات اسكندر هباء لأن ابراهيم متى صمم على أمر فلا يثنيه عنه شيء

كانت الأم تعاني ثورة نفسية عنيفة ، ودارت المعركة بين جنبيها ـ هل تقول لابراهيم عن السبب فيحصل

مالا تحمد عقباه . أم تسكت وترى كل يوم ذلك المشيق فى بيتها على مقربة من حجرة ابنتها... أمضها الفكر وانتابها المرض فظلت تروح وتغدو والله يعلم مابها

وكانت سعاد تعاني ثورة أشد ايلاما مخافة أن يعلم أخوها بالأمر فتأخذه حمية الشرف وتهيج عاطفته فتكون الطامة الكبرى والمصيبة العظمى ؟! أوأن يطرد من البيت من سكن قرارة نفسها وتربع فى سويداء مهجتها ، فتصير فى حيرة وولة ، تضيق الدنيا على سعتها فى عينيها ، ويتبدل حبورها ترحا ، وتتلبد سماؤها ، وتسوء سمعتها

* * *

في ليلة سمعت الأم ابراهيم يناديها افتحى ياأماه ودخل يحمل شابا جريحا . فذهبت الأم تنادى سعادا لتمرض ذلك الجريح الجديد . ودخلت سعاد وعلى وجهها ابتسامتها عند ماترى جريحا مرحبا . مرحبا بجنود الوطن ، وما كادت ترى وجهه حتى صاحت فزعة وقد أخذ منها الخوف كل مأخذ

ـ اقتله . اقتله ياأخى ما بال عقلك ، اقتله بربك أوأخرجه

من المنزل على الاقل

ـ لا ياأختاه لقد وجدته جريحا والرجولة تحتم على أن أفعل مافعلت

ـ ولكنه انجليزى . أنه انجليزى ـ الاتري . ألا ترى ياابراهيم !؟

ـ ولكنه انسان الا ترين ؟ الا ترين ياسعاد ؟

وجاءت الأم وقد سمعت مادار بينهما

ـ انظرى ياأماه لقد جاءنا بأحد الاعداء جريحا

ـ نعم مافعل لقد فعل مايفعله الرجل

ـ ولكنه ياأماه عدونا الالد ، والله يعلم كم سفكت يداه من دماء أبناء الوطن الشهداء

ـ ولكنه مع ذلك انسان مثلك ـ حسن منك ياابنتى أن يكون عندك الشيء الكثير من العصبية ولكن هناك شيء فوق هذا . هناك عاطفة الانسانية اعتنى به للمروءة وللانسانية لاله هو

قال ابراهيم لقد جرح فى مظاهرة اليوم وأردت تركه

ولكن قلبي الذي يراقب الباري في نبضاته أبى على الا الاعتناء به كان الجرح في جبينه فتركوه بملابسه وغسلت سعاد جرحه وعصبت جبينه ، وأعطته بعض المنبهات ، فأجال عينيه بين الحاضرين بشيء من الخوف والوجل ـ قال له ابراهيم بالانجليزيه لا بأس عليك . لا تخش شيئا . لقد وجدتك جريحا وسوف تعتني بك أختي حتى اذا استطعت النهوض أرسلت بك الى معسكركم معززا مكرما لتخبر من لا يعلم أننا معشر الشرقيين أسمي بكثير جدا مما تتصورون

أغمض الشاب عينيه وراح في سبات عميق ، ولما أفاق وجد سعاد قد هيأت له شيئا من الشاي واللبن فشكرها بعبارة مقتضبة ـ وظل كذلك ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث دخل ابراهيم فوجد سعاد في غرفتها فذهب الى أمه غاضبا

ـ كيف تترك سعاد المريض وحده ربما كان ظمآنا فمن يسقيه ان هذا لعمري قسوة منها الا تترك تلك الفتاة تعصبها الاعمى

ـ قالت الأم انها تركته الآن فقط حيث ظلت ساهرة

بجانبه طيلة ليلة أمس

تركها الفتى غاضبا ودخل على حجرة الجندي فوجده نائما ويده بجيبه فوضع أذنه على صدره ليسمع دقات قلبه وما كاد يفعل حتى دوي صوت طلق نارى وأصابت ابراهيم رصاصة في صدره فوقع يتخبط فى دمه

سمعت الأم صوت الطلق النارى فهرولت الى الغرفة فرأت منظرا جمد له دمها في عروقها ـ رأت ابنها الوحيد ملقي على الارض والدم ينفجر من صدره في قوة وغزارة

صاحت المرأة تخاطب الجندى الذى أمامها والعبرات تخنقها لماذا ؟ لماذا قتلته ؟! انه ما أساء اليك . أنه .. أنه ما أساء اليك

وجاء اسكندر مسرعا فرأى ذلك المنظر وفى الحال حمل على الجندى ولم يكد يتقدم خطوة عليه حتي أصابته رصاصة تركته صريعا وخرج الجندى ويداه فى جيبي بنطلونه كأن لم يرتكب اثما ولم يأت شيئا

« خاتمة »

بعـــد ذلك بثلاثة أيام طلب البوليس سعادا وأمها وأخطرهما بأنهما متهمان فى الاشتراك مع ابراهيم فى اغتيال جون الجندى الانجليزى وأقيمت لهم الجلسة

لم يكن بقاعة المحاكمة أحد من الناس وانما كانت تغص برجال البوليس الانجليز بين عار حين وقفت الجنود المصرية فى الخارج مع المصريين تحافظ على النظام

وكان بجوار القاضى رجلان من الانجليز أحدهما فى ملابس ملكية والآخر في ملابس الضباط

سأل القاضى الام عن سبب اشتراكها مع ابنها فى اغتيال الجندى ـ سكتت المرأة ولم تحر جوابا

قال القاضى . تكلمى ان سكوتك هـذا يعزز التهمة ضدك وضد ابنتك

عندئذ قالت سعاد . حذار أيها القاضى أن توجـه الى تلك الام الثكلى شيئا من الاهانة ، سأتكلم عن أمى

اذا أحضرتم الجندى

ونادى الحاجب الجندى فدخل مرفوع الرأس ترتسم على وجهه سيما الغطرسة والكبرياء ـ سألته سعاد

ماذا ترى ياجون ؟؟ هل صحيح أننا كنا نريد اغتيال حياتك ؟! كذبهم بربك فأنهم أهانوا أمى الثكلى قل كلمة الحق لنخرج

التفت الجندى الى الفتاة فى شيء من الازدراء ثم قال

لقد والله كدت أموت لولا أن مسدسى أحياني وكم من مرة كانوا يريدون أن يقضوا على لولا أنهم كانوا ينتظرون حضور حشد من الثائرين

قالت سعاد فى دهشة وذهول

أصحيح . أصحيح ياهذا ؟! أتجد فى كلامك أم تمزح ؟!!

ثم صاحت بأعلى صوتها أجبني

ولكن الجندى هز رأسه وطلب من المحكمة أن تحميه من سباب تلك الفتاة السافلة فأصدر القاضي الحكم بحبس كل من الام وابنتها سنتين

ضحكت سعاد ضحكة وحشة غريبة ثم اخذت تصيح وتصخب ويظهر ان الله فى السماء أبي أن ينفذ الحكم الظالم فبدلا من ان ترسل الام وابنتها الى السجن ـ ارسلت الاولى الى رحمة الله والثانية الى مستشفى المجاذيب ؟

﴿ تمت ﴾

أرسل الينا صديقنا الأديب (السيد أحمد صقر) قصيدة عامرة مفعمة بالتقدير والثناء ننشر منها ما اتسع له المقام

* * *

رشاد . وفقت فيما أنت كاتبه
ياصاحب الهمة القعساء والقلم
أسهرت عينيك حتى صغتها عجبا
ومن يرم مثلك العلياء لم ينم
تعلم النشأ كيف الذود عن وطن
وكيف يضحى الفتي بالدين كالعلم
أراك كاسمك فيما رمت ذا رشد
يامرسل اللفظ مثل الدر فى القيم

لايستقـل الذى الفت مبتدئا
فأولَ الغيث يتلو . هامعُ الديم
أراك منا . ولكن . قد ضربت لنا
ما يحتذى . من أخى جد وذى شمم
إنا لنحمد من أعلته همته
وأبصرته عن طريق النجح من أمم
من لم يكن حامدا للناس عرفهموا
لايحمد الله رب الخلق كلهم
انى أحييك والاخدان أجمعهم
لازلت ترشد من يسرون فى الظلم

« السيد احمد صقر »

الى القارىء الكريم

سقطت كلمة (وأمهما) من صفحة ١٣ سطر ٩ وكلمة (الطيبة) من سطر ١١ وكلمة (عليها) من صفحة ٢٠ سطر ٨ وندت عن النظر أثناء التصحيح بعض أخطاء مطبعية نتركها لذكاء القارىء ونرجو منه العفو والمعذرة ؟